

حان الوقت للتحدث مع حركة الشباب



مقاتلو حركة الشباب يسيرون في جنوب مقديشو، الصومال، في 17 فبراير 2011.

هذا المقال ترجمة لمقال نشره عبد الناصر م. حاشي من العاصمة مقديشو، الصومال، وقد تم نشر هذا المقال بتاريخ 15 نوفمبر 2020.

عندما تم انتخاب الرئيس فرماجو في 8 فبراير / شباط 2017، كانت الظروف مهيأة للحديث، لكنه بدلاً من ذلك، تعهد بهزيمة حركة الشباب في غضون عامين، مما يبعث الأمل في تحقيق السلام الذي توقعه الناس منه. طبعاً القرار جاء لأسباب أمنية ولكن من وجهة نظر سياسية كان من الخطأ الفادح إعلان الحرب في مواجهة معارضة الشعب

وعلى خصم لا يحلم إلا بالموت والجنة. والبعثة الأفريقية في الصومال (أميصوم) غير كفؤة ضد حركة الشباب، وحقيقة أنها تنسحب في عام 2024 دون إحلال السلام والاستقرار في الصومال هو اعتراف بالفشل. لقد تم احتواء حركة الشباب من خلال ضربات الطائرات الأمريكية بدون طيار، لكن استراتيجية القوة الصلبة غير مثمرة لمثل هذه المجموعة لأنها تتمتع بسجل حافل من الصمود أمام جميع الاعتداءات. لذلك، من الممكن منع الأجهزة المتفجرة المرتجلة المحمولة على مركبات الشباب ولكن العقيدة التي تشكل نفسية الفرد المفجر ذاتياً لا تُقهر.

القوة الغاشمة ضد الإيدانة

تعتبر القاعدة نفسها الممثل الحقيقي للإسلام على أهبة الاستعداد ضد اقتحام الأنماط الغربية للرسالة "الإلهية". إنها تبحث عن مجتمع فاضل تتناغم فيه مساعي الحياة اليومية مع الاستقامة الأخلاقية التي تؤكد الآيات القرآنية التي تقترب عن كثب من أيام الإسلام ولا يوجد مسار آخر مقبول. الفكرة هي السعي وراء كل من الحاجات الدنيوية والحياة الأبدية في الآخرة، ومن الناحية المثالية، لا ينبغي للتقدم الدنيوي أن يفوق السعي وراء الآخرة. إن فقدان هذه الصيغة الدينية أو الميل نحو العلمانية يعني الجاهلية، "كدولة هيمنة للبشر على البشر، مقابل خضوعهم لله"، أدواتها ليست التكنولوجيا التي تهدف إلى تحسين روتين الحياة اليومي. إنها تشجع التقدم الاقتصادي وحقوق الإنسان ولكن فقط في محيط الإسلام حيث تسود راية الله. وتلقي باللوم على التدخلات العسكرية للغرب وفشل المشايخ العرب في تطبيق شريعة الله على الأرض كعائق أمام تردد المسلمين في الاستسلام لـ "روح" الإسلام الحقيقية، وفي 23 أغسطس 1996، أعلن بن لادن الحرب على الغرب. إن القاعدة تنظر إلى "الحرب على

الإرهاب" على أنها عمل انتقامي مدعوم من مواقف صليبية مولودة، وهو رأي يتشاركه الكثير من الناس في العالم الإسلامي.

مثل النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي أخرج النظام من الفوضى على مدى 1400 قرن مضى، تعتقد أن ما تحقق في أيام الإسلام المجيدة يمكن تحقيقه في زمن آخر، وتستخدم هذه الأحداث التاريخية القديمة كحافز للرسالة السماوية. الفكرة ليست انتصاراً عسكرياً فورياً ولكن لإثارة حرب دائمة حيث سيكون للأجيال القادمة "امتياز" للمساهمة في ثمارها مفضلين الموت إذا لم ينجحوا، في الإسلام يقاس النجاح بكونهم فازوا بالجنة. إنه على نطاق مختلف سعياً وراء حلم بعيد، وإكمال هذه المغامرة الدينية الكبرى يتربص إلى الأبد خلف ستارة المستقبل - السعي الخالد الذي تضيء أيامه المتتالية الطموح البعيد باعتباره أكثر قابلية للتحقيق.

على العكس من ذلك، تشعر الولايات المتحدة وحلفاؤها بقلق مفرط بشأن الجانب المادي للحرب معتقدين أن القضاء على المتمردين الجهاديين من شأنه أن يحل بطريقة ما قضايا الإرهاب. على سبيل المثال، تفاخرت إدارة بوش بأنها قتلت 75% من الشخصيات الرئيسية في القاعدة، لكن وفقاً لدراسة كريستيان تايلور البحثية، أعاد تنظيم القاعدة هيكلته ليصبح خلافة إقليمية تنتشر من أفغانستان وباكستان إلى شمال إفريقيا والشرق الأوسط وما وراءهما، لقد جندت القاعدة ما يقدر بنحو 40 ألف مقاتل إضافي منذ 11 سبتمبر 2001، ولا تزال القاعدة أقوى وأكثر صموداً. بالنسبة للولايات المتحدة، كقوة أكبر بكثير، كان الخطر الأساسي هو الأذى الذاتي. لا يمكن للقاعدة أبداً هزيمة الولايات المتحدة، لكن حقيقة أنها لا تزال تقف في مواجهة أكبر قوة عسكرية لأكثر من 20 عاماً يعد نجاحاً واقعياً. تُظهر دروس التاريخ أن استخدام الأسلحة التقليدية لهزيمة أيديولوجية ما باعتباره معلماً لا يمكن تحقيقه، وقد أدى ذلك إلى تقويض العديد من الدول القوية. ربما تكون الحرب في أفغانستان مثالاً رئيسياً على عدم فعالية القوة النارية الأمريكية المتقدمة ضد قوة إرادة طالبان.

في 7 أكتوبر 2001، أعلن جورج بوش بدء عملية الحرية الدائمة التي كانت أهدافها إسقاط نظام طالبان لاستضافته القاعدة وقتل أو القبض على بن لادن، لمنع أفغانستان من أن تصبح ملاذاً آمناً للإرهابيين، وإعادة بناء أفغانستان كدولة ديمقراطية مزدهرة. في الحقيقة، استندت الحرب في أفغانستان بالكامل إلى "ضرب" العدو، وكانت الإدارات المتعاقبة راضية عن مجرد الجانب العنيف للحرب، وبالتالي، تفوقت العصا على الجزرة مما أدى إلى خروج غير مرغوب فيه.

لم يكونوا يهدفون إلى ترجمة السياسة الناعمة إلى مخطط عملي ولم يقدموا تريباً للاضطرابات الاجتماعية في أفغانستان، وبدلاً من ذلك، تم إرسال المزيد من القنابل إلى أفغانستان. إذن، ما الذي حصلت عليه الولايات المتحدة مقابل 2 تريليون دولار في أفغانستان؟ تسعى أمريكا إلى الانتقام، ولكن في هذا المسار، تسببت في "الحرب على الإرهاب" التي ولدت الإرهاب على المدنيين الذين كانوا / أبرياء من هجمات الحادي عشر من سبتمبر. وقتل أكثر من 2400 جندي أمريكي وأكثر من 38 ألف مدني أفغاني. المستفيد الحقيقي من هذه الحرب هو طالبان لأنها لا تزال تسيطر على أكثر من 60% من الأراضي الأفغانية (المعلومة مرتبطة بتاريخ نشر هذا المقال في 15 نوفمبر 2020)، واكتشفت طالبان قوتها المحتملة، ومن خلال التفاوض المباشر مع الولايات المتحدة، اكتسبت شرعية سياسية قوضت الحكومة الأفغانية. كما كتب دومينيك تيرني، "الولايات المتحدة صليبية غير صبورة: حريصة على ضرب الطغاة والإرهابيين ولكنها غير راغبة في استثمار الوقت والموارد اللازمة لكسب السلام".

وخلاصة القول إن الجهاديين يتبعون نهجاً دينياً يبشر بخير الدنيا وخير الآخرة، والغرب على افتراضات فكرية تعتبر الدين أمراً شخصياً يُمارس على نحو ملائم. لا يمكن أن يكون الإيمان تحت المعرفة الفكرية ولا يخضع العقل للمغالطات غير المنطقية. مع مثل هذه الفلسفات المتضاربة، يمكن للغرب أن يفوز في المعركة، لكن استناداً إلى الحقائق التاريخية، لا يمكنه كسب الحرب.

الإرهاب المخترع

منذ سقوط الحكومة المركزية الصومالية في عام 1991، دمرت الفوضى والعنف على نطاق غير مسبوق البلاد، وبدافع اليأس، لجأ الصوماليون إلى الإسلام للحماية لأنه كان القانون الوحيد الذي احترمه زعماء القبائل المتناحرة. في يونيو 2004، تم تشكيل اتحاد المحاكم الإسلامية الذي جلب السلام النسبي في مقديشو والمناطق المحيطة بها، وتم الترحيب به باعتباره إنجازاً كبيراً. كانت ثورة قائمة على القومية بهدف بناء مجتمع تقدمي خال من القبلية وتم توظيف الإسلام السياسي لتوحيد الفصائل القبلية المقاتلة. كحكومة ظل، أعادت نوعاً من القانون والنظام، وأنشأت محاكم عاملة، وللمرة الأولى، تمكنت المركبات من السفر بحرية دون التعرض للاعتداء. لقد كانت بالفعل صوة اجتماعية وفكرية وعدت بإحياء المفاهيم الأخلاقية والثقافية المألوفة. على الرغم من أن التحسن الأمني في مقديشو قوبل بالهتافات إلا أنه بالنسبة للسياسيين الغربيين، فقد لقي الانزعاج من حقيقة أن اتحاد المحاكم الإسلامية كان يحرز تقدماً في سياق الإسلام، بعبارة أخرى، خارج الفلك المألوف. لديهم ميل دائماً إلى تصنيف أي مؤسسة إسلامية لا تتناسب مع إطار الأفكار الغربية ومواقفها بالإرهاب ولم يتم استثناء اتحاد المحاكم الإسلامية.

بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، تم الحكم على الصومال من خلال مشاهد الإرهاب وانهم اتحاد المحاكم الإسلامية بإيواء المشتبه بهم من القاعدة الذين كانوا مسؤولين عن تفجيرات السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا في عام 1998 على الأرجح بدون أي دليل. بسبب الغارة الكارثية في عام 1993 والمعروفة باسم "بلاك هوك داون"، كانت واشنطن غير مستعدة لإرسال جنود مشاة إلى الصومال، لذلك بدأت وكالة المخابرات المركزية عملية سرية بتمويل ARPCT ، وهو تحالف من أمراء الحرب الحاليين في

مقديشو، لهزيمة اتحاد المحاكم الإسلامية. كان زواج مصلحة. أرادتهم وكالة المخابرات المركزية كقوة بديلة للقبض على المشتبه بهم وحصل أمراء الحرب على كلاب حرب مدفوعة الأجر. من المقولات الشهيرة بين سكان مقديشو أن جميع العلماء المسلمين تقريباً قد سافروا جواً إلى مكة (في إشارة إلى معسكر ليمونير، القاعدة العسكرية الأمريكية في جيبوتي). ومع ذلك، فإن الخطة جاءت بنتائج عكسية في يونيو 2006 عندما تم إخراج ARPCT من مقديشو وعزز اتحاد المحاكم الإسلامية المزيد من سلطته من خلال توسيع نطاق حكمه حتى كيسمايو وما وراءها. في الواقع، كان هذا التحالف غير المقدس بين وكالة المخابرات المركزية وأمراء الحرب هو الذي أوجد حركة الشباب، وبالتالي، تم اختراع الإرهاب عن غير قصد.

في 6 كانون الأول (ديسمبر) 2006، غزت إثيوبيا الصومال لهزيمة اتحاد المحاكم الإسلامية واحتضان الحكومة الصومالية الجنينية دون حساب نتيجتها النهائية على الأرجح. تمت الإطاحة باتحاد المحاكم الإسلامية وخاضت حركة الشباب، الجناح العسكري لاتحاد المحاكم الإسلامية، حرباً دموية ضد الإثيوبيين في غزو استمر قرابة عامين. استغلت حركة الشباب العداء التاريخي بين إثيوبيا والصومال، ونهج الغرب المتوحش لإدارة بوش، وحصلت على مؤيدين متحمسين، وأموال ضرورية، وفتوى دينية تشتد الحاجة إليها ووجهت الشعب إلى التضحية بحياته دون أنانية من أجل قضيته. نتيجة لذلك، في 13 كانون الثاني (يناير) 2009، أجبرت القوات الإثيوبية على الانسحاب وحول الغزو حركة الشباب من جماعة مجهولة إلى جماعة متشددة تابعة للقاعدة وعضو في الشبكة الجهادية العالمية. ربما كان الفشل الذريع هو أن إدارة بوش تصرفت على أسس عاطفية طغت بظلالها على النهج العملي. بدلاً من التركيز على الكشف عن اتحاد المحاكم الإسلامية وخرطة الطريق الاستراتيجية الخاصة بها، لقد ردت قبل الأوان على معلومات استخباراتية محدودة، وبالتالي، ارتد الغزو الذي قادته واشنطن بإحداث تأثير معاكس: لقد

كان الجهاد والشباب مصدر إلهام للتطور من مجموعة شبه عسكرية كانت مهمتها تأمين المنطقة التجارية في مقديشو إلى رابع أكثر المناطق دموية في العالم.

تصنيف الإرهاب

الإرهاب هو تسمية مهينة "تُطبق بشكل عام على أعداء الفرد وخصومه، أو على من يختلف معهم ويفضل تجاهلهم".^[2] يتم استخدامه لإهانة وإكراه الخصم على الاستسلام لموقف سياسي معين، كما أنه تصريح قانوني للإيذاء. المصطلح ذاتي بالتعريف متأثر بالحكم الأخلاقي للفرد: "إذا كان الشخص يتماثل مع ضحية العنف، على سبيل المثال، فإن الفعل يكون إرهاباً. ومع ذلك، إذا تم التعرف على الجاني، يُنظر إلى الفعل العنيف في أكثر من متعاطف، إن لم يكن إيجابياً (أو، في أسوأ الأحوال، متناقض)؛ وهو ليس إرهاباً".^[3] هناك أكثر من 109 تعريفات مختلفة للإرهاب^[4] وكلها تقريبا تتوازي مع وجهة نظر الغرب حول هذا الموضوع وهم يبررون العنف الذي ترتكبه الدولة، على سبيل المثال، عرّف كارستن بوكستيت من مركز جورج سي مارشال الأوروبي للدراسات الأمنية الإرهاب بأنه "العنف السياسي في صراع غير متكافئ مصمم لإثارة الإرهاب ..."^[5] في 28 فبراير في عام 2008، تم تصنيف حركة الشباب على أنها منظمة إرهابية أجنبية على الرغم من أنها لم يكن لها مهنة جهادية سابقة، وكان الدافع وراء حمل السلاح لأسباب أمنية حضرية، وكانت أنشطتها العسكرية محصورة داخل حدود الصومال، وتمرد التمرد ضد الغزو الإثيوبي وفقا للقانون الدولي. تم إدراج حركة الشباب ليس بسبب أساليبها العنيفة ولكن بهدف إدخال الإسلام في السياسة. الدافع لتصنيف شخص ما أو منظمة على أنها إرهابية هو دافع حصري للمصالح، على سبيل المثال، خلال الحرب السوفيتية الأفغانية، أطلق الرئيس ريغان على المجاهدين لقب "مقاتلي الحرية" لأن كفاحهم ضد الاتحاد السوفيتي الشيوعي كان يتماشى مع أجندة واشنطن السياسية. في حالة غير موأتية،

وصف الرئيس بوش المجاهدين بـ "الإرهابيين"، وتفاوضت إدارة ترامب معهم على اتفاقية سلام. نظراً لطبيعة السياسة، فإن احتمال ثناء حكومة الولايات المتحدة على حركة الشباب أو لقاء قادتها في المكتب البيضاوي ليس بعيد المنال.

حان الوقت للتحدث مع الشباب

في الصومال، لطالما كانت التدخلات العسكرية تأتي بنتائج عكسية وكانت النتيجة عكسية باستمرار، ويمكن للنهج العسكري الأمريكي القاسي احتواء حركة الشباب فقط ولكنه لا يغير المعادلة الكلية. وبالمثل، فإن خطة إدارة ترامب لسحب القوات من الصومال تشير بوضوح إلى أن التدخل العسكري لواشنطن في الصومال بدأ بعقلية قصيرة المدى وتثبت فاعلية استراتيجية انتظار حركة الشباب. وصف بول دي ويليامز، الأستاذ في جامعة جورج واشنطن، الحرب ضد الشباب بأنها "... مأزق منذ عام 2016 على الأقل، من غير المرجح أن يحقق أي من الجانبين نصراً عسكرياً حاسماً". عدم القدرة على هزيمة حركة الشباب بشكل حاسم يترك فقط التسوية التفاوضية، بالنسبة لأي مفاوضات، يجب أن تكون النقطة المحورية حول الشريعة لأن دستور الصومال يعرّف الإسلام على أنه دين الدولة والشريعة تلهم التشريع الوطني، والحوار حول قضايا الشريعة يوفر للحكومة بعض النطاق للتفاوض. لا يمكن الوصول إلى نهاية إلا من خلال التفاوض ولا سيما من خلال معالجة القضية الملحة للشريعة الإسلامية. كما يجب على الغرب أن يتسامح مع وجود أناس يتوافقون مع دستورهم، شرع الله، مهما كان غير عقلاني من منظور المفاهيم الغربية، ففي النهاية فإن حق الاختلاف هو الركيزة الأساسية للديمقراطية.

على عكس سابقتها، اتحاد المحاكم الإسلامية، تقاتل حركة الشباب من أجل الشريعة الإسلامية وتعتبر الحكومة الفيدرالية الصومالية نظاماً "مرتدّاً" لتطبيق دستور غير إسلامي. تدرك الولايات المتحدة أن هذه الحرب ليس لها حل عسكري ولكن نظراً لخطر رد

الفعل السياسي، فإنها تتجنب التفاوض مع حركة الشباب مباشرة. اقترح كريستوفر سي ميلر، وزير دفاع ترامب بالإنابة، طريقة غير تقليدية تدعو إلى إعادة تشكيل هيكل قيادة الشباب من خلال القضاء على القادة المتشددين المرتبطين بالقاعدة والتفاوض مع القادة الوطنيين الأصغر سنًا بمساعدة حكومة قطر. أثار ميلر أفكارًا لعزلهم أو القضاء عليهم: ربما يمكن إقناع القادة الأصغر سنًا بالتمرد ضدهم، أو يمكن شراء المجموعة الأكبر سنًا لإبعاد أنفسهم عن النضال. على الرغم من إحباط الفكرة، إلا أنها تُظهر أن الولايات المتحدة لا ترى الصورة الكاملة للحرب ولا تفهم تمامًا الأيديولوجية التي تدفع حركة الشباب إلى صمودها.

هناك سببان رئيسيان لضرورة أن تقود الولايات المتحدة نوعاً من التسوية السياسية مع حركة الشباب على الرغم من ارتباطها بالقاعدة.

أولاً، مثل طالبان، لا يمكن للولايات المتحدة أن تصمد أمام حركة الشباب عسكرياً. في عام 2012، فقدت مساحات شاسعة في جنوب ووسط الصومال بما في ذلك مدينة كيسمايو الساحلية وكان الخبراء يتصورون زوال الجماعة. إن حركة الشباب لن تذهب إلى أي مكان على الرغم من وجود أميصوم والجيش الصومالي والحملة الجوية الأمريكية المتصاعدة.

ثانياً، هذه الحرب غير مستدامة مالياً. الحرب تخوضها دماء أفريقية وأهداف غربية، ومع الانكماش الاقتصادي الحالي بسبب جائحة كورونا، لا يستطيع الغرب تمويل حرب دائمة؛ تستنزف أميصوم التكلفة السنوية لحوالي مليار دولار أمريكي، وقد أنفقت الحكومة الأمريكية وحدها أكثر من ملياري دولار على محاربة حركة الشباب منذ عام 2006 دون أي نتائج تبرر هذا التدفق الهائل لأموال دافعي الضرائب. هناك شيء واحد مؤكد: لقد فتحت الولايات المتحدة علبة من الديدان ولم تعد تمتلك القدرة على القضاء عليها - فقط بالتحدث مع حركة الشباب ستخرج أمريكا والإرهاب من الصومال، ومن المعقول أن تفعل ذلك الآن قبل أن تخسر المزيد من الوقت، والمزيد من الثروة، والمزيد من الدماء.

عبد الناصر م. حاشي

مقديشو ، الصومال

[1]الجاهلية قاموس أكسفورد للإسلام

[2]. [3] هوفمان ، بروس (1998). "داخل الإرهاب" مطبعة جامعة كولومبيا. ص 32 "نسخة مخبأة من جوجل

[4] آري دبليو كروجلانسكي وشيرا فيشمان الاتجاهات الحالية في مجلد العلوم النفسية. 15 ، ع 1 (فبراير 2006) ،
ص 48-45

[5] بوكستيت ، كارستن (2008). "استخدام الإرهابيين الجهاديين لتقنيات إدارة الاتصالات الاستراتيجية. PDF "
سلسلة أوراق عرضية من مركز جورج سي مارشال ISSN 1863-6039.200

